الخصائص الثقافية للقرية وقيمها

بادئا ذي بدء، تستمد القرية قيمها وخصائصها الثقافية من العوائل القاطنة فيها، فتلك الخصائص هي جوانب معنوية واعتبارية قبل أن تكون مادية، فهي مستمدة من المجتمع الذي يسكن القرية، فالعائلة الريفية لها قيمها وثقافتها المميزة، وهذه القيم تعد مقومات ودعامات للعائلة والقرية وهي كالآتي:

أولًا – السلطة The Power :

وهي من مقومات العائلة القديمة إذ إنها ترتبط بشكل وثيق بوظائفها الاجتماعية والاقتصادية. ويظهر اثر هذه السلطة واضحا، إذ إن العائلة تستخدمها لتدريب أفرادها اجتماعيا وسلوكيا وحياتيا داخل العائلة او خارجها، وتسخر للعمل الجمعي وطريقة المعيشة وتضبطها، والسلطة هنا نوعان؛

١- السلطة الاجتماعية – التي تصنف إلى سلطة (عامة وخاصة)، فالمظهر العام لها يكون من اختصاص الرجل، إذ يكون فيه مسؤولا ومشرفا على الشؤون الاجتماعية للعائلة تلك المتعلقة بضبط العلاقات بين مكوناتها المختلفة، وبينها وبين العائلات الأخرى في القرية، والقرى الأخرى. ويكون الرجل فيها مسؤولا عن تدريب الأولاد اجتماعيا، ومراقبا سلوكهم الاجتماعي، وتقسيم العمل بينهم، وتزويجهم.

أما المظهر الخاص فهو من اختصاص المرأة، وهذه الأخيرة مستمدة من سلطة الرجل أصلا، بسبب تبعية المرأة للرجل في المجتمع القروي المبنية على الطاعة والاحترام له. وتتلخص مهامها؛ بإدارة شؤون الدار والإشراف على الانتاج الداخلي كمستخرجات الألبان وإعداد الخبز ونظافة المنزل وإطعام الحيوانات وتربية الأطفال لحين بلوغهم سن العمل في الزراعة وتدريب البنات حتى يتم تزويجهن فتلقنهن قيم الحياة النسوية وتعلمهن حقوقهن وواجباتهن.

٢- السلطة الاقتصادية – وتدور حول الإنتاج الزراعي والعمليات المتصلة به، إذ إن الرجل هو صاحب الكلمة الأخيرة فيه، لذا يكون هو من يحدد المساحات الزراعية من ارض العائلة وبماذا ستزرع، وتكون خبرته في العمل الزراعي التي ورثها عن الاجداد ذات اثر مهم وكبير في توجيه العمل.

ان السلطة بصورة عامة سواء كانت اجتماعية او اقتصادية عامة او خاصة ترتبط هنا بالسن، إذ تناط بالأب الأكبر وزوجته هي صاحبة السلطة أيضا، وينوب عن الأب الابن الأكبر في حال تقدم العمر بابيه ويخلف والده بعد وفاته، ومن المعتاد أن يقوم بإشراك والدته بالأمر عن طريق المشورة. أما إذا كان الأب الأكبر متعدد الزوجات فان الأولى هي صاحبة القرار والسلطة (الخاصة)، وإذا اشتد الخلاف بين الزوجات فان الرجل يقوم بتقسيم السلطة الخاصة على زوجاته كل واحدة ضمن حدود معينة ومهام معينة.

نتائج السلطة العائلية:

١- احترام السلطة، إذ إن الصغير فيها يجب أن يحترم الكبير، وصولا إلى الأب الأكبر، صاحب الحصة الكبرى من الاحترام. وتتمتع الأم الكبرى بطاعة جميع الزوجات والبنات لها، ويعلم الطفل احترام الكبير عامة وبخاصة من العائلات الأخرى في البدنة (العشيرة) والقرية التي ينتمون إليها، فالشاب لا ينبغي له مجالسة الأكبر منه سنا، وإذا حدث وجلس فعليه ألّا يتكلم، بل يراقب فقط، ولا يجوز له أن يعلق على أحاديثهم.

٢- احترام المركز في دائرة القرابة، اذ ان صاحب المركز في العائلة إذا وجه أمرا الى الذي اصغر منه سنا في عائلة اخرى ولم يمتثل له فان كبار عائلة الشاب يعاقبونه كما انه يستطيع أن يوجه عقوبة له مباشرتا دون الرجوع الى كبار عائلته ودون أن يلقى اعتراض من عائلته الأصلية بل هو سلوك مرحبا به.

٣- سيادة الذكر – إذ يكتسبها من أعماله الشاقة المضنية في الأرض التي تعد مقدسة والتي لا يقوى عليها غيره، اما المرأة فدورها فيها ثانوي لذا تمثل المركز الأدنى، لذا فمن الموجب عليها خدمته وطاعته والامتثال لأوامره والتماس رضاه دون مقابل.

٤- شؤون العائلة من اختصاص المسؤولين بها – فالخلافات في العائلة والقرية يحلها كبارها دون ان يعترض او يتدخل احد من داخل العائلة او خارجها بسبب خبرتهم وحكمتهم ومركزهم الاجتماعي، ولا يجوز اطلاقا اطلاع احد من خارج العائلة على تلك الخلافات لان كتمان مشاكل العائلة يعد صورة لقوة وترابط العائلة وهيبتها وسيادة سلطة كبارها.

ثانياً – العلاقات العائلية Family relations :

تبنى هذه العلاقات على أساس السلطة ويتم التركيز في التربية على كتمان الرغبات لأفراد العائلة ويزداد هذا القيد بتقدم السن وينتج عنه (الشخصي الانطوائية) فالفرد لا قيمة له الا في العائلة وقيمته مستمدة منها، لذا فان كل نشاطات الفرد تتمحور حول خدمة العائلة كالزواج ولعمل والإنجاب وكل ما هو متاح له. لذا فان بالإمكان التعرف على شخصية الفرد من خلال التعرف على شخصية العائلة.

إن العلاقات العائلية تظم الآتي:-

١- الزوج والزوجة: إذ يتميز سلوك الفرد في العائلة الريفية القديمة باللامبالاة تجاه زوجته ويعتبرها أمرا ثانويا، فيما يكون سلوك الزوجة تجاهه الاحترام والتقديس والطاعة، ومن المعيب جدا إظهار ميول الزوجين لبعضهما علنا، كما انه من المعيب جدا أن يظهر للزوجة تأثيرا على زوجها مهما كان بسيطا.

ويرتفع قدر المرأة المتزوجة أمام حماتها بعد عدة سنوات وبخاص بعد إنجاب الأولاد، وإذا كانت الزوجة عنيدة (صعبة المراس) فتلجا الأم الكبرى (الجَدْة) إلى إغراء ابنها المتزوج إلى الزواج من امرأة أخرى، وتتولى إقناع الأب (الجَد) بذلك، بحجة إنجاب أولاد أكثر. ويحظى المنزل الذي فيه زوجات متعددات للأب، يحظى بقلة المشاكل بينهن وبين زوجات الأبناء بسبب المنافسة بين زوجات الأب لكسب رضا وتأييد زوجات الأولاد.

إن التحدث بمسالة الجنس بين الرجال والنساء من أبناء العائلة يعد امراً معيبا جدا، وكذا الحال فان الزوجين لا يصرحان بعلاقتهما الجنسية في حالة الاتصال علنا ويبقى الأمر مكتوما إلى أن يغتسل الزوجان صباحا فتعلم العائلة بذلك، وتميل الزوجة في بداية زواجها إلى رفض الرجل والتمنع عنه وقد تطول هذه الحال في بعض الأحيان، من خلال ذلك يظهر لنا أن أبناء العائلة الريفية بصورة عامة لا يمتلكون ثقافة جنسية، فالمرأة قد تقضي حياتها وهي لا تعلم شيئا عن الإشباع الجنسي والعاطفي.

كما إن عملية ختان النساء كان يؤدي إلى البرود الجنسي لدى المرأة وهذا الأمر يؤدي الى شرخ في العلاقة الحميمة بين الزوجين فيلجأ الرجال إلى تناول وتعاطي المخدرات لإرضاء علاقتهم هذه دون أن يتأثروا ببرود المرأة ولامبالاتها، وتساعده هذه المسالة على إطلاق مكنوناته دون قيود.

في حقيقة الأمر، إن هذا الموضوع لازال يلقى تحفظا في مختلف الأوساط سواء الحضرية او الريفية والسبب أن جذور مجتمعنا قبلية ريفية بالرغم من سكنهم بالمدن منذ أمد طويل إلا أنها لازالت متأصلة وحتى فئة الشباب منهم وقد تلقى محاضرتي هذه اعتراضا لدى كثير من الطلبة او الأساتذة لأنها باعتقادهم قد تجرح الحياء، متناسين أن هذه الأمور قد تكون من أهم أسباب النزاعات والخلافات الأسرية والعائلية في مجتمعنا.

٣- الوالدان والأولاد: تركز تربية الوالدان على أن يطيعهم أبنائهم وهي قيم مستمدة من الدين، فالعلاقة تكون في بداية نمو الأولاد بالوالدة التي تعلمهم وتربيهم وتطعمهم فيما تكون علاقة الأب بهم ضعيفة. وتزداد هذه العلاقة بأخذ الطابع الرسمي مع الوالدين بتقدم سن الأولاد، وتزداد وثاقة مع العائلة من جهة ثانية. وبخاصة عند إضافة أعمال الحقل لهم، وتكون من سلطة العائلة التي تكون هي المتحكمة والموجهة لهم وتشرف عليهم وعلى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية.

إن الأبناء يكونون في بداية أعمارهم مختلطين في النوم والأكل واللعب واللبس، ولكن بعد تعديهم سن معين، تبدأ عملية فصل الذكور عن الإناث في النوم والأكل والعمل واغلب النشاطات الاجتماعية، فمثلا لا يجب أن تجلس النساء مع الرجال عند تناول الطعام بل بعد أن يُكمل الرجال طعامهم، ويستثنى من الأمر البنات دون سن الخامسة

أحيانا، إذ يكون الأب سعيدا بجلوسهن معه لتسليته عند تناوله طعامه، ولا يصح أن يأكل الصغار مثلا مع الشباب او من هو اكبر منهم.

إن الأطفال من كلي الجنسين تكون علاقاتهم وثيقة ومختلطة، وتمتاز باللعب معا طوال الوقت، وترعاهم الأم الكبرى، إذ يكونون تحت رعايتها وحنانها بالرغم من كثرة زوجات الأبناء، فهم لا يلجئون إلى أمهاتهم لتلبية طلباتهم، فالأم الكبرى هي الوحيدة التي من حقها أعطاهم الهدايا والحلوى واللعب، وقد تنشأ الخلافات بين زوجات الأبناء نتيجة لعطف واهتمام الام الكبرى على أطفال احد أبنائها دون الآخرين.

إن الأطفال عندما يكبرون صبيانا وصبايا وتناط إليهم مهام العمل في الحقل والدار مهام العمل في الحقل والدار تبدأ عملية التنافس بينهم والتمايز بحسب همة وإنتاجية الفرد ليحظى باحترام وتقدير العائلة (العشيرة او الفخذ).

٣- الأعمام والأجداد:

أ) العم: يحتل العم مكانة جميلة في نفوس أولاد وأبناء وبنات إخوته لما يشملهم به من العطف والحنان والاهتمام أكثر من أولاده وبناته، إذ يعتبره أبناء وبنات أخيه أبا (سوسيولوجيا) ومن المعيب جدا بحق العم أن يولي أبنائه اهتماما اكبر من أبناء إخوته.

ب) الجد والجد الأكبر: إن العلاقة بين الأطفال وبين الجد تكون مميزة وقوية وتمتاز بالوثاقة والمزاح واللطافة حتى أنها تتعدى حدود الأدب والاحترام، بل إن الجد قد يشجع الأولاد على إطلاق الألفاظ النابية لوالديه، وكذلك الحال بين الأطفال وبين الأجداد في العائل او البدنة فتكون قوية جدا وجميلة وتمتاز بالمزاح والصداقة. وان الأطفال قد يلجئون إلى الجد او العم للهروب من عقاب آبائهم او أمهاتهم فهم الحصن المنيع والحضن الأمين الذي يرعاهم.

إن السبب الذي جعل الجد والعم يمثلان هذه المكانة لدى الأبناء والبنات هو انشغال الوالدان بأمور العمل والحقل وابتعادهم عن الاختلاط واستماع مشاكل وهموم أبنائهم وبناتهم فيما يوفر العم والجد والجدة هذا الاهتمام لهم.

٤- التعاون والصراع: يقوم كيان العائلة القديمة على أساس التعاون ويكون صاحب السلطة هو المراقب لتحقيق هذه الخاصية. وهو على نوعين:

أ) التعاون الجماعي للعمل في الحقل والانتاج والحصاد والزراعة.

ب) مقسم على الافراداو تناط بكل فرد مهمة كالري والرعي.

ان الخلافات الحاصلة بين الزوجات قد تطول وتمتد لذا يترك امر حلها لزوجة صاحب السلطة وفي اغلب الأحيان تقتضي مثل هذه المشاكل تدخل الاب الأكبر. أما الخلافات بين العائلات

فان حلها يتم بين رؤساء البدن والعائلات، إلا أن التعاون هي الصفة المميزة للعائلات، ويدور التعاون في ثلاث حلقات:

١) بين أفراد العائلة وأسرها.
٢) بين العائلات المنتمية للبدنة.
٣) بين البدنات الموجودة داخل القرية.

وينطبق هذا الأمر أيضا على الصراع.

ثالثا – الزواج marriage:

- إن للزواج أهمية اجتماعية واقتصادية في العائل القديمة (الريفية)، إذ يعد العامل الوحيد في زيادة أفرادها، إذ يعتبر عمر (١٦–١٨) سنة للذكر عمر الزواج، و (١٣–١٤) سنة عمر الفتاة للزواج كحد أدنى، وعادتا يتعرفون إلى السن المناسب للزواج عندما يخشن صوت الولد وتظهر لحيته، أما البنت فبعد أول حيض لها. ولا تفضل العائلة الريفية التأخر في سن الزواج بل تعده مفضلا في سن مبكرة على العكس من سكان الحضر لأسباب اقتصادية واجتماعية.
- إن التعاون الجماعي بين أفراد العائلة يساعد على إتمام عملية الزواج بسهولة، فهم يدعمون الشاب المتزوج حديثا ويعينونه لأهداف اجتماعية واقتصادية مهما كثر عدد الاولاد ولا ضير في ذلك
- ان الزواج في العائلة الريفية يعد أمرا يخص صاحب السلطة في العائلة بالتشاور مع زوجته، إذ لا يكون للولد او البنت أن يعلما بذلك او أن يختارا بعضهما، بل تخطب البنات وهن صغارا، وعادة ما تكون الزيجات داخل العائلة الواحدة او البدنة للحفاظ على القرابة والأرض، وهذا تشجعه أمثالهم كقولهم:

" بنت عمك تشيل همك وتستر عورتك"
و " الغريبة ذيبة" و " الخال مخلة والعم معلّة"

- إن الزواج يتم في مواسم محددة وبخاصة بعد مواسم الحصاد وبيع المحصول ليتم وضع مهر العروس وتكون القرية في شبه فراغ زراعي من العمل، ويكون المهر قليلا داخل العائلة الواحدة، أما خارجها فانه يجب أن يتناسب مع المركز الاجتماعي والاقتصادي لتلك العائلة، ويعد الذهب من علامات الثراء في تقديم المهر كون إن الأثاث يكون بسيطا في الأعم الأغلب.
- هنالك مجموعة من العادات التي تتقيد بها العوائل القديمة مع فارق فيها بحسب البيئة والمكان فعلى سبيل المثال لا الحصر " أن لا تعير الفتاة أي اهتمام إلى اسم خطيبها عند ذكر اسمه وكذا الحال للفتى، وان تظهر الفتاة الخجل وإذا ما تلاقيا صدفة فيجب أن لا يكلمها او تكلمه او يظهر

احدهما اهتماما للآخر او الارتباك، ومن العادات الاخرى، ليلة الحناء، وهي الليلة التي تسبق ليلة الزفاف، إذ تدهن أقدام وأيادي العروسين بالحناء ويقام الاحتفال في بيت العائلة إذا كان الزواج داخليا ، أما أذا كان خارجيا، فتقام احتفاليتين واحدة في بيت العروس والأخرى في بيت العريس، وتُنشد الأغاني من قبل زميلات وقريبات العروس، وتتلقى العائلتان الهدايا والمساعدات، كاللبن والقشدة والدواجن والمحاصيل الزراعية، وعند الصباح تُستأنف الاحتفالات، وعند العصر تُؤخذ العروس مع جهازها البسيط إلى منزل عائلة العريس في موكب من النساء والأطفال، وتكون محمولة على جمل في هودج او حصان او حمار او راجلتا.

- من الأمور الأخرى التي يعدها أهل القرية رمزا لشرف العروس وتربيتها ورمزا لرجولة العريس وحسن اختيار عائلته هو عذرية الفتاة، إذ يجب أن تكون عذراء بالنسبة إلى البنت الباكر، ويتم التأكد من ذلك في ليلة الزفاف، ويدعونها العلامة، وهي قطعة من القماش ملطخة بدم غشاء البكارة، إذ يعد إعلانا لشرف وطهارة العروس، وعندها تقدم التهاني أولا إلى والد العريس وجميع أعضاء العائلتين، أما إذا لم تكن الفتاة باكرا، فيعني أن تلك العائلة وتلك الفتاة منحطة خلقيا وهي غير جديرة بالنسب وبالزواج، الأمر الذي يترتب عليه قتلا لها من قبل أهل العروس، في إشارة لما يسمى بـ(غسل العار)، أما إذا تمت العملية بخير فعند المساء يخرج العريس ليلتقي بأقرانه.
- من الأمور المهمة التي تراقبها أم العروس هو انقطاع حيض ابنتها وهو دليل الحمل، الأمر الذي يعزز مكانة ابنتها في العائلة وتطمئن إلى إن ابنتها ستكون أما.
- إن تسمية الذكور تترك للأب الأكبر (الجد) أما تسمية الإناث فإنها تترك للام الكبرى (الجدة) وكان عدد كبير من المواليد لا يسجلون في سجل القيد والنفوس تهربا من التجنيد او أعمال السخرة.
- الرضاعة: إن الأم هي من ترضع أبنائها وقد ترضع الأمهات في العائلة الواحدة أبنائها وحتى في البدنة الواحدة، فقد يرضعن أطفالا غير أطفالهن خصوصا إذا كانت الأم الأصلية منهمكة في عمل او مريضة، في حين إن الرجال يمنعون ذلك إلا إن النساء لا يراعين هذا الأمر ، مما يترتب عليه تعقيدات كبيرة عندما يصبحون في سن الزواج نتيجة الأخوة في الرضاعة.
- الزواج من أصحاب الحرف: إن الزراعة يعدها أهل القرى عملا مقدسا إذ ترتبط بالأرض والشرف والمكانة الاجتماعية والاقتصادية ، لذا ينظر إلى أصحاب الحرف الأخرى بأنهم ادني مرتبة من القروي او المزارع وان القريب القروي أولى بمن يتزوج من فتيات القرية ولا يعطى أصحاب المهن او الحرف الأخرى امرأة او يتزوج من العائلة القروية نتيجة لهذه النظرة.